

— ٩٠ —

التفكير معا في هذا الصدد — أن الله ليس كمثل شيء ، وأنه يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار .

وخير لنا من الخوض في تقسيمات الصفات النفسية أو الصفات الثبوتية أو الصفات السلبية ، أن نضرب مثلا واحدا لخطأ العقول في اسلزام بعض الصفات وبطلان بعض الصفات ، فيما هو محسوس قابل للاختبار والاختبار : علاقة الجوهر البسيط بصفة البقاء . أو صفة التنزه عن الانحلال .

فالأقدمون — أو أكثر الأقدمين — متفقون على أن الكائنات العلوية . كالشموس والأفلاك ، خالدة لا تقبل الفناء لأنها من نور ، والنور جوهر بسيط ، والجوهر البسيط لا يقبل التركيب وهو من ثم لا يقبل الانحلال .

وها نحن قد رأينا في عصرنا هذا أن الأجسام كلها ذرات ، وأن الذرات كلها تنفلق أو تنحل فتصير إلى شعاع أو تصير إلى نور .

ومع هذا تألفت من هذا النور عناصر ، وتألفت من هذه العناصر أجسام ، وتألفت في هذه الأجسام ألوان وأشكال وأطوار وأحوال . هي هذه المادة أو هذه الهيولى التي قيل في المذاهب القديمة إنها معدن الفساد المنحل ، ونقيض الجوهر البسيط .

فاذا كان هذا حكمنا على بساطة المادة فمن أين لنا أن نحكم على بساطة الجوهر الإلهي حكما تجريه مجرى الزوم لما ينبغي أن يكون عليه ؟ ومن أين لنا أن نقول إن الوجود الأبدى يفعل هذا ولا يفعل هذا ، ويكون من المناقض له أن تنسب إليه هذه الصفة أو يحدث منه الخلق على هذا المثال ؟

غاية الغايات أن نقول إن الوجود الأبدى أكمل وجود . وإن أكمل وجود يخلق وجودا آخر دونه في الكمال ، وإن الوجودين لا ينعزلان .

فاذا كانت كيفية ذلك تعزب عن أذهاننا فقد عزبت عن أذهاننا كيفيات ما نراه ونحده بالأبصار ، فلا جرم تعزب عنا الكيفيات فيما يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار .

وهل من الكيفيات المفهومة أن نقول مثلا إن الوجود الكامل لا يقدر